

معالم تعزيز الهوية الإسلامية في القرآن الكريم

The Holy Quran Milestones for consolidating the Islamic Identity

د/ صادق قاسم حسن مدد(1)

(1) الأستاذ المساعد بكلية الشريعة وأصول الدين

جامعة الملك خالد

Email: smadid@kku.edu.sa

يتقدم الباحث بالشكر لجامعة الملك خالد على تقديم الدعم الإداري والفني لهذا البحث

ملخص البحث

بمصطلحات البحث، والمبحث الأول يتضمن مقومات الهوية الإسلامية، والتحديات التي تواجهها، أما المبحث الثاني ففيه الوقوف على معالم تعزيز الهوية الإسلامية في مجالات: العقيدة، والعبادات، والأخلاق والمعاملات والعادات، وقد توصل الباحث إلى أن تجهيل الأمة، والتشكيك في ثوابتها من خلال الغزو الفكري، وكذلك بث الفرقة بين مجتمعاتها تمثل أقوى أسلحة الهدم التي استخدمها الأعداء في محاربة الهوية الإسلامية، وأن العقيدة الإسلامية والعلم الشرعي والأخلاق الفاضلة هي أبرز مقومات الهوية الإسلامية وحائط الصد الأول في الدفاع عنها، وأن الالتزام بهدي القرآن الكريم والسنة النبوية من أهم وسائل معالجة ضعف الهوية الإسلامية وتعزيزها عملياً.

الكلمات الدلالية للبحث: (معالم – تعزيز- الهوية الإسلامية- الغزو الفكري- العولة)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحابه ومن والاه، وبعد:

إنَّ الهجمة الشرسة التي تواجهها الأمة الإسلامية اليوم، والتي تستهدف تشكيك الأمة في عقيدتها، وسلخها عن قيمها، وإبعادها عن مصادر قوتها، وبث الفرقة بين مجتمعاتها، من الإشكاليات والتحديات الكبيرة التي تستدعي لفت أنظار الأمة إلى سُبُل مواجهتها، وطرق معالجتها، ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث الموسوم بـ [معالم تعزيز الهوية الإسلامية في القرآن الكريم]، إذ يُعدُّ مساهمةً في تعزيز الهوية الإسلامية ومعالجة جوانب الضعف والقصور فيها، فهو يهدف إلى كشف الأخطار والتحديات التي تواجه الهوية الإسلامية، وإبراز مقوماتها ومعالم تعزيزها في ضوء القرآن الكريم.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، والتمهيد وفيه: التعريف

Abstract

Praise be to Allah the Lord of the worlds and may the blessings and peace of Allah be upon the most honored of messengers our master Muhammad and upon all his family and companions.

The vicious attack that currently targets the Islamic nation and which aims at making Muslims lose confidence in their faith and leads them to abandon their values, and keeps them away from the source of their strength and spreads division between them is one of the major problems that require research on how to confront these challenges and address these issues. Hence the importance of this research, entitled **“The Holy Quran Milestones for consolidating the Islamic Identity”** Which is considered a contribution to strengthening the Islamic identity and addressing its weaknesses. It aims to expose the dangers facing the Islamic identity. It also aims to highlight the features of strengthening the Islamic identity in accordance with the guidance of the Holy Quran.

The nature of this subject required that it should be divided into a preface, an introduction, two topics, and a conclusion. The preface includes introducing the research terms, and the first topic addresses the elements of the

Islamic identity and the challenges it faces. As for the second topic, it examines the features of strengthening the Islamic identity in the areas of belief, worship, morals, transactions and customs.

The study concludes that the most powerful weapons used by enemies to fight the Islamic identity are spreading ignorance among Muslims, questioning the fundamentals of Islam through intellectual invasion and spreading discord among members of the Islamic nation. Moreover, the most prominent components of the Islamic identity and its protective measures are the Islamic faith, knowledge of Shari'ah, and the prophetic virtuous ethics. In addition, the most important means of addressing the weaknesses of the Islamic identity and practically enhancing it is adherence to the guidance of the Holy Quran and the Sunnah of the Prophet.

Keywords: (milestones - consolidation - Islamic identity - intellectual conquest - globalization).

المقدمة:

الحمد لله القائل في محكم كتابه: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ (الأنبياء: ١٠)، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين سيدنا: محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وبعد:

من المعلوم أن هوية الأمة الإسلامية تشكلت مع نزول القرآن الكريم، الذي أقام كيان هذه الأمة على أسس متينة من التوحيد والعبادة والأخلاق الحميدة، وقد حاول أعداء الأمة إطفاء نورها وطمس هويتها، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ (الصف: ٨، ٩).

وقال سبحانه: ﴿...وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ (البقرة: 217)، ولا زالت المحاولات مستمرة على مر العصور لتذويب هوية خير أمة أخرجت للناس، وإبعادها عن منهجها القويم والصرراط المستقيم، وأثر تلك المحاولات ظاهر ملحوظ في ضعف واهتزاز الهوية لدى بعض المسلمين، وهذا ما حذرنا منه الصادق الأمين - صلى الله عليه وسلم بقوله:

«لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ» قلنا يا رَسُولَ اللَّهِ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قال: «فَمَنْ؟» (1)، وهذا الحديث مخرجه مخرج الخبر، إلا أن المراد به الذم لمن سلك مسالكهم واتبع سننهم (2)، فكان من اللازم أخذ الحيطة والحذر ولزوم النهج المبين الذي يحفظ على الأمة خيريتها ويعلي مكانتها وهويتها الإسلامية، وهذا البحث محاولة لتوضيح جملة من معالم الهداية الربانية مستمدة من آي الذكر الحكيم، التي ترشد إلى تعزيز الهوية الإسلامية في جوانبها المختلفة.

(1) أخرجه البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، في صحيحه، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل (1274/3)، دار ابن كثير، ودار اليمامة - بيروت، ومسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، في صحيحه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، في كتاب العلم، باب: أتباع سنن اليهود والنصارى (2054/4)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(2) قال ابن تيمية: وهذا خرج منه مخرج الخبر عن وقوع ذلك، إلا أن معناه الذم لمن يفعله...، فعلم أن مشابهة هذه الأمة اليهود والنصارى وفارس والروم مما ذمه الله ورسوله " إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة، (2/ط) (44/1).

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية هذا الموضوع كونه مساهمة في بيان المراد بالهوية الإسلامية وإظهار أخطر التحديات التي تواجهها، مع بيان أساليب القرآن الكريم في تعزيزها، ومعالجة إشكالية ضعف واهتزاز الهوية الإسلامية في عصر القرية الكونية والتداخل الحضاري، وكذلك تتجلى أهمية الموضوع باعتماده على القرآن الكريم منبع الخير والفضيلة الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت:42).

أسباب اختيار موضوع البحث:

- أولاً: ملاحظة ضعف الانتماء للهوية الإسلامية لدى بعض المسلمين في زماننا.
ثانياً: كشف التحديات والمخاطر التي تواجه الهوية الإسلامية.
ثالثاً: الوقوف على جملة من معالم تعزيز الهوية الإسلامية في القرآن الكريم.

أهداف البحث:

- 1- التعريف بالهوية الإسلامية.
- 2- ذكر أهم مقومات الهوية الإسلامية.
- 3- كشف المخاطر والتحديات – الخارجية والداخلية- التي تواجه الهوية الإسلامية.
- 4- إبراز المعالم القرآنية لتعزيز الهوية الإسلامية.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات التي تحدثت عن موضوع الهوية الإسلامية منها:

- 1- هوية المسلم بين الاستعلاء والانزهاج-دراسة قرآنية، أ.د صالح بن يحي صواب، بحث منشور في كتاب المؤتمر الدولي القرآني الأول "توظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة، المقام بكلية الشرعية وأصول الدين بجامعة الملك خالد، عام 1438هـ المجلد الأول.
- 2- مستقبل الهوية الإسلامية في ظل العولمة الثقافية، د. خليل نوري العاني، منشور ضمن إصدارات مركز البحوث والدراسات الإسلامية التابع لديوان الوقف السني-بغداد، 1430هـ 2009م، الطبعة: الأولى.

اقتصرت الدراسة الأولى على التعريف بالهوية، وبيان الاستعلاء والاعتزاز بالهوية الإسلامية، وبيان أسباب ومظاهر اهتزاز الثقة بالهوية الإسلامية، أمّا الدراسة الثانية فقد تناولت معنى الهوية وأزمتها، وعلاج أزمة الهوية من خلال قصة آدم، وبيان الآثار الإيجابية للبناء الصحيح للهوية الإسلامية.

ويتميز هذا البحث عن الدراسات السابقة بالآتي:

- 1- بيان أهم مقومات الهوية من وجهة نظر الباحث.
- 2- إبراز أخطر التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية بشقيها الداخلي والخارجي.
- 3- الوقوف على بعض المعالم القرآنية لتعزيز الهوية الإسلامية في جوانبها المختلفة.
- 4- استلهام الدروس العملية في تعزيز الهوية الإسلامية من هدي القرآن الكريم.

منهجية البحث:

اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي؛ لجمع الآيات التي لها علاقة بموضوع الهوية الإسلامية، والمنهج الوصفي لبيان وجه دلالة الآيات على المراد في هذا المقام.

خطة البحث:

يتكون البحث من تمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو التالي:

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث: (المعالم - الهوية الإسلامية).

المبحث الأول: الهوية الإسلامية المقومات والتحديات، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: مقومات الهوية الإسلامية.

المطلب الثاني: التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية.

المبحث الثاني: معالم تعزيز الهوية الإسلامية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعزيز الهوية الإسلامية في مجال العقيدة.

المطلب الثاني: تعزيز الهوية الإسلامية في مجال العبادات.

المطلب الثالث: تعزيز الهوية الإسلامية في مجال الأخلاق.

المطلب الرابع: تعزيز الهوية الإسلامية في مجال المعاملات، والعادات.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث: (المعالم - الهوية الإسلامية).
أولاً: تعريف المعالم لغةً واصطلاحاً.

المعالم لغة:

المعالم: جمع معلم، والمعلم: ما يجعل علماً وعلامة للطرق والحدود مثل: أعلام الحرم ومعالمه المضروبة عليه التي يستدل بها على انتهاء الحرم وابتدائه، والعلم أيضاً: العلامة، وما يهتدى ويستدل به، وأصل العلم الجبل (3)، والمعلم: العلامة من كل شيء، يقال: خفيت معالم الطريق (4) وتطلق المعالم على جادة الطريق أيضاً (5).

التعريف الاصطلاحي للمعالم:

من خلال التعريفات اللغوية السابقة للمعالم نستطيع أن نصوغ تعريفاً اصطلاحياً للمعالم خلاصته:
المعالم: هي العلامات التي يستدل بها على الشيء، والإشارات التي يهتدى بها إلى الطريق القويم.

ثانياً: تعريف الهوية لغةً واصطلاحاً

تعريف الهوية في اللغة:

جاء لفظ "هوى" في معاجم اللغة لعدة معانٍ منها: السقوط إلى أسفل، والبئر العميقة، والحضرة بعيدة القمر، وقال الأزهري هو محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه (6) وجميع هذه المعاني لا تدل على المعنى المراد هنا، فالمراد بهوية الشيء: ذاته وحقيقته، والهوية بفتح الهاء وضمها من الكلمات المنحوتة من كلمتين: "ما هو" أو "ما هي" وهي من التعبيرات الجديدة التي دخلت المعجم العربي الحديث (7)

(3) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، لمحمد بن أبي نصر الحميدي، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى 1415 هـ - 1995م (ص137).

(4) المعجم الوسيط، لمجموعة من المؤلفين، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة (2/624).

(5) النهاية في غريب الأثر، لأبي السعادات الجزري، تحقيق: ظاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399 هـ - 1979م (301/4).

(6) انظر لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، دار صادر-بيروت (15/373)، المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، دار الكتب العلمية - بيروت - 2000م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد الحميد هندائي، (1/450)، تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية، (40/326).

(7) الإسلام والتعدد الحضاري بين سبل الحوار وأخلاقيات التعايش، د. عبد الهادي الفضلي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى 2014م، (1/68)

تعريف الهوية في الاصطلاح:

للهوية عدة تعريفات اصطلاحية، منها:

التعريف الأول:

الهوية: الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة (8).

التعريف الثاني:

الهوية: مجمل الخصائص النفسية والاجتماعية والعقدية التي تميز مجتمعاً ما عن غيره، أو مجموعة عن غيرها (9).

أما الهوية الإسلامية فتعرف بأنها:

السمات والخصائص والسلوكيات المميزة للأمة الإسلامية الناتجة عن تفاعل المسلم مع العقيدة الشريعة (10).

وتعرف أيضاً بأنها: "الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية، والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ، والشهادة على الناس" (11).

وفي ضوء ما سبق يمكن القول إن المراد بالهوية الإسلامية:

السمات والخصائص التي تميز الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم والجماعات، وتتجسد لدى أبنائها من خلال الإيمان بعقيدتها وإظهار شعائرها، مع الشعور بالتميز والاستقلالية وعدم التبعية للغير بشيء من ذلك.

المبحث الأول: الهوية الإسلامية المقومات والتحديات:

من المسلمات أن لكل هوية مقوماتها التي تعتمد عليها، والتي تعد المؤشر على نقاء الهوية ووضوحها لدى معتقبيها، ولمجتمعنا الإسلامي هوية نقية مستمدة من الكتاب والسنة؛ ولا شك أن موضوع الهوية في المجتمع المسلم يواجه تحديات كبرى، وفي هذا المبحث سيتم الحديث عن مقومات الهوية الإسلامية، والتحديات التي تواجه تعزيزها في المجتمع الإسلامي، وذلك في مطلبين على النحو التالي:

(8) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي - بيروت - 1405، (ط/1)، تحقيق: إبراهيم الأبياري (320/1)، التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر - بيروت، دمشق - 1410، (ط/1)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية (744/1).

(9) انظر: الزلزال وما قبله، فايز الشيخ السليك، مكتبة جزيرة الورد - القاهرة (ط/1) 2012م، (ص 49).

(10) المنهج التربوي الإسلامي في تشكيل الهوية الإسلامية، سناء مأمون التميمي، (رسالة ماجستير جامعة اليرموك - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية 2006 م (ص 23).

(11) الهوية الإسلامية لخليل نوري: (ص 45).

المطلب الأول: مقومات الهوية الإسلامية:

تقوم الهوية الإسلامية على عدد من المقومات من أهمها: العقيدة، والأخلاق، والقيم الإسلامية، وسيتم تناولها على النحو الآتي:

أولاً: العقيدة:

تعدُّ العقيدة الصحيحة أهم مقومات الهوية الإسلامية، ويراد بالعقيدة هنا الإيمان بجميع جوانبه فيشمل الاعتقاد بالقلب، والقول باللسان، والعمل بالجوارح والأركان، قال تعالى:

﴿ فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَمْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسِيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ (البقرة: ١٣٧، ١٣٨)

فالمراد بصبغة الله: دينه (12) وسمي صبغةً لظهور أثر الدين على صاحبه كظهور أثر الصبغ على الثوب، ولأنه يلزمه ولا يفارقه كالصبغ في الثوب، وقد تضمنت هذه الآية أصل الدين الحنيفي فكفى بالصبغة عنه، ومجازه ظهور الأثر أو ملازمته لمن ينتحله، فهو كالصبغ في هذين الوصفين، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب (13).

ومعنى الآية: "الزموا دين الله وقوموا به قياماً تاماً بجميع أعماله الظاهرة والباطنة، وجميع عقائده في جميع الأوقات حتى يكون لكم صبغة وصفة من صفاتكم،... ويصير الدين طبيعة لكم بمنزلة الصبغ التام (14)، وهو المفهوم من قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِن صَلَاحِي وَسُكُنِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (الأنعام: ١٦٢) ومن أهم صفات المؤمنين قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (التوبة: 71) فأهل الإيمان الصادق يوالي بعضهم بعضاً، ويعين بعضهم بعضاً على إقامة شعائر الدين وامتنال أوامره التي من شأنها أن تميز المؤمنين عن غيرهم، قال القرطبي: "جعل تعالى الأمر

(12) قاله ابن مسعود وابن عباس، وروي عن أبي العالية ومجاهد والحسن وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة وعكرمة وعطية والربيع بن انس والسدي نحو ذلك. ينظر: تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (245/1)، المكتبة العصرية - صيدا، 2003م، زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت، 1404، (151/1).

(13) تفسير البحر المحيط (583/1).

(14) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن معلا اللويحي (97/1). مؤسسة الرسالة - بيروت 1426هـ - 2005م.

بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين" (15) وفي المقابل جاء النهي عن موالاة الكافرين ولو كانوا أقرب الأقربين ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَءِخْوَانَكُمْ ءَوَلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾﴾ (التوبة: ٢٣)، بل توعد من والاهم وعبداً شديداً وجعله منهم وفي عدادهم قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ءَوَلِيَاءَ بَعْضُهُمْ ءَوَلِيَاءُ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ (المائدة: ٥١).

قال أبو حيان: " نهى تعالى المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى ينصرونهم ويستنصرون بهم، ويصافونهم ويعاشرونهم معاشرة المؤمنين....، قال ابن عباس: فإنه منهم في حكم الكفر، أي ومن يتولهم في الدين، وقال غيره: ومن يتولهم في الدنيا فإنه منهم في الآخرة. وقيل: ومن يتولهم منكم في العهد فإنه منهم في مخالفة الأمر، وهذا تشديد عظيم في الانتفاء من أهل الكفر، وترك موالاتهم، ...، ومن تولاهم بأفعاله دون معتقد، ولا إخلال بإيمان فهو منهم في المقت والمذمة، ومن تولاهم في المعتقد فهو منهم في الكفر (16). ونخلص من ذلك إلى أهمية العقيدة ودورها في إقامة الهوية الإسلامية والحفاظ عليها من الضياع والذوبان في غيرها من الهويات والوجهات، ومثل هذا المعنى متضمن في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ ءَوَلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَّةً وَيُحَدِّثْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٣﴾﴾ (آل عمران: 28).

ثانياً: الأخلاق الحميدة.

الأخلاق الحميدة من مقومات الهوية الإسلامية، وهي قبل ذلك من الغايات العظيمة للرسالات السماوية، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن من أهم أهداف بعثته تتميم مكارم الأخلاق بقوله: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» (17) وفي رواية: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» (18)، فجعل أصل شريعته إكمال ما يحتاجه البشر من مكارم الأخلاق (19)، ومكارم الأخلاق من أسباب حفظ الأمم وبقائها، وبالمقابل نجد أن من أسباب زوال الأمم التخلق بالأخلاق السيئة، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا فَإِنَّا نُرِيهِمْ قَوْمًا مَرِيضًا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء: 16)، وكان

(15) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب - القاهرة، (47/4).

(16) البحر المحيط، لأبي حيان، (519/3)، أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص، دار إحياء التراث العربي - بيروت - 1405، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي (278/4).

(17) سنن البيهقي الكبرى (191/10).

(18) أحمد في مسنده، (381/2) والحاكم في المستدرک الحاكم في المستدرک على الصحيحين (670/2)، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(19) التحرير والتنوير (29 / 60).

هلاك قوم لوط بسبب تخليهم عن الخلق القويم وسقوطهم في مهاوي الرذيلة والخلق الذميم، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْبَنَاتِ أَلَيْسَ بَلِّ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (الأعراف: 80- 81)، وبين عاقبتهم بقوله تعالى:

﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٧٦﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَائِبِينَ ﴿٧٧﴾ ثُوِّمْنَا الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾ (الشعراء: ١٧٠ - ١٧٤).

وصدق الشاعر حين قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت *** فإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا (20).
وإذا أصيب القوم في أخلاقهم *** فأقيم عليهم ماتماً وعويلاً (21).

ثالثاً: القيم الإسلامية:

تؤدي القيم الإسلامية دوراً مهماً في تشكيل الشخصية المسلمة، وتحفظ على الأمة تماسكها، وتحدد أهدافها ومبادئها المستقرة، ولا تستطيع أي أمة من الأمم القيام بواجباتها على أكمل وجه ما لم يتحلى أفرادها بالقيم العليا المشتركة لتلك الأمة فيها ينضبط سيرهم وتُسدّد مسيرتهم، وتلك القيم بمثابة الأساس الذي يقوم عليه البناء ولها إسهام كبير في تشكيل هويتها إجمالاً وتفصيلاً، وأشير هنا إلى ثلاث قيم تأتي في صدارة القيم المؤثرة تأثيراً واضحاً في بناء الهوية الإسلامية.

1- قيمة العلم:

تتضح مكانة العلم ودوره في بناء هوية هذه الأمة والحفاظ عليها من الأمر بالقراءة في أول آيات القرآن نزولاً من رب العزة والجلال ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾ (العلق: 1)، ورفع مكانة العلماء بقوله سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ (المجادلة: 11).

وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ (الزمر: 9). وجاء القرآن الكريم بالعلم الذي صحح للمسلمين المفاهيم التي قد تُشكّل عليهم في دينهم وديانهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ

(20) الشوقيات، أحمد شوقي، تقديم محمد حسنين هيكل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م (20/1).

(21) المصدر السابق (247/1).

وَالصِّرَافَ وَحِينَ أُلْبِئْتُ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ (البقرة: 177)، فقد تضمنت هذه الآية جماع الفضائل وتصحيح مفهوم البرِّ وعلاقته بأركان الإيمان، ثم اتباع ذلك بذكر أهم العبادات المالية والبدنية وجملة ومن الأخلاق والصفات الحميدة، والعمل بها يعدُّ تجسيدا عمليا للهوية الإسلامية بمضامينها الشاملة، وتعد الثقافة الإسلامية (22) بمزاياها وخصوصياتها النابعة من مصادر الشريعة الإسلامية ثمرة من ثمرات قيمة العلم، وينبغي أن تستوعبها الأجيال المسلمة، فهي بمثابة الحصانة الفكرية للمسلم، أمام تداعيات الثورة المعرفية والمعلوماتية التي يشهدها العالم بأسره، فكل صاحب دعوة أو فكرة يدعو إليها بأساليب جذابة لافتة للنظر، فإن لم يكن المسلم، على معرفة بالموازين التي تعرفه بالخطأ والصواب وتميز له بين الحق والباطل، وبين ما يقبله الإسلام وما يرفضه منها فقد ينزلق وراء مذهب يخرج عن الإسلام وهو لا يدري (23).

2- قيمة العدل:

المراد بالعدل: إعطاء كل ذي حق حقه دون زيادة أو نقصان من غير تفرقة بين المستحقين (24)، وهو من القيم الإسلامية العظيمة التي اعتنى بها الدين الإسلامي عنايةً بالغة، وقامت على أساسه دولة الإسلام الراشدة، وبهذه القيمة يتميز أهل الإيمان عن غيرهم من الأمم، وهو من أهم أسباب سعادة الناس؛ فبه يطمئنوا على حقوقهم وممتلكاتهم، وهو مرتبط بالحكم والقضاء، وأداء الشهادة، وكتابة العهود والمواثيق وله ارتباط وثيق بنظام الأسرة والتربية، والاقتصاد والاجتماع، وغير ذلك من أمور الحياة بجميع جوانبها؛ ولأهميته جعل الله إقامته بين الناس علةً لإرسال الرسل، وإنزال الكتب فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾ (الحديد: 25).

قال السعدي: ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ هو العدل في الأقوال والأفعال، والدين الذي جاءت به الرسل، كله عدل وقسط في الأوامر والنواهي وفي معاملات الخلق، وفي الجنايات والقصاص والحدود والمواثيق وغير ذلك، وذلك ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ قياما بدين الله، وتحصيلا لمصالحهم التي لا يمكن حصرها

(22) المراد بالثقافة الإسلامية: "معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة، بتفاعلاتها في الماضي والحاضر؛ من دين،

ولغة، وتاريخ، وحضارة، وقيم، وأهداف مشتركة ومعرفة المصادر التي استقيت منها هذه المقومات، انظر: دراسات في

الثقافة الإسلامية، د. رجب سعيد شهوان ص 11-12، تم الاطلاع عليه في 2019/10/29م على الرابط :

<https://www.alukah.net/culture/0/862/#ixzz63ipj0f2F>.

(23) انظر: الثقافة الإسلامية (تعريفها - مصادرها - مجالاتها-تحدياتها) مصطفى مسلم وفتحي الزغيبي، (ص16)،

إثراء للنشر والتوزيع -عمّان، 2007، (ط/1).

(24) الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم-دمشق (ط/4)، 1417هـ 1996م

(622/1).

وعدها" (25) وإقامة هذه القيمة العظيمة على الوجه الأكمل أمر الله بالعدل مع جميع الخلق حتى مع المخالفين في الرأي، بل مع الكافرين المبعوضين فقال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ (المائدة: 8).

قال ابن كثير: "لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقاً كان أو عدواً؛ ولهذا قال: ﴿ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (26)، بل رغب في معاملتهم بالبر والإحسان في أمور الدنيا فقال سبحانه: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ (المتحنة: 8)

وجاءت السنة المطهرة كذلك بالترغيب بالعدل في كثير من النصوص الصحيحة منها قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِّن نُّورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَّتَا يَدَيْهِ يَمِينُ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا» (27)؛ ولذلك كانت قيمة العدل حاضرة في تعامل المسلمين مع أعدائهم عند انتصارهم عليهم على مر التاريخ، وكتب السير والمغازي حافلة بتلك الشواهد، وعند المقارنة بين المسلمين وغيرهم في هذا الجانب نرى البون شاسعاً فشتان ما بين الثريا والثرى، ولا غرابة في ذلك، فتلك صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة؟ ولننظر في ما كتبه المستشرق غوستاف لوبون (28) في كتابه حضارة العرب مُقارناً بين المسلمين والصليبيين فقال: "كان سلوك الصليبيين حين دخلوا القدس غير سلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب نحو النصارى حين دخلها منذ بضعة قرون، قال كاهن مدينة لُوبي: حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها؛ فقد قُطعت رعوس بعضهم وبُقرت بطون بعضهم، فكانوا يُضطَرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرَّق بعضهم في النار، وكان لا يُرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم؛ فلا يمرُّ المرء إلا على جُثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما

(25) تيسير الكريم الرحمن (824/1).

(26) تفسير القرآن العظيم (31/2).

(27) صحيح مسلم (1458/3)

(28) غوستاف لوبون: طبيب ومؤرخ فرنسي، من أشهر المؤرخين الذين اهتموا بدراسة الحضارات الشرقية والعربية والإسلامية، عُرف بأنه أحد أشهر فلاسفة الغرب الذين أنصفوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية، ارتحل في العالم الإسلامي وألف عن حضارة العرب والمسلمين، ارتحل في العالم الإسلامي وله فيه مباحث اجتماعية، أقر فيها أن المسلمين هم من مدّنوا أوروبا، وقدمها للعالم تقديم المدين الذي يدين بالفضل لأهله، توفي ١٩٣١م، ينظر موقع

المكتبة الشاملة على الرابط: [https://shamela.ws/index.php/author/3032]

نالوا" (29) ووصف جرائم محاكم التفتيش بقوله: "يستحيل علينا أن نقرأ دون أن ترتعد فرائصنا من قصص التعذيب والاضطهاد التي قام بها المسيحيون المنتصرين على المسلمين المنهزمين، فلقد عمدوهم عنوة، وسلموهم لدواوين التفتيش التي أحرقت منهم ما استطاعت من الجموع. واقترح القس "بليدا: "قطع رؤوس كل العرب دون استثناء بما في ذلك النساء والأطفال، وهكذا تم قتل وطرد ثلاثة ملايين عربي من الأندلس" (30)، والواقع اليوم يشهد بفعالهم بالمسلمين في كثير من البلاد الإسلامية بما يغني عن الكلام، بينما نجد تعامل حملة هوية الإسلام بالعدل والإحسان مع القريب والبعيد والعدو والصديق، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ (المائدة: 8).

3- قيمة الوسطية:

الوسطية من القيم النبيلة التي تقوم عليها هويتنا الإسلامية، ولا شك أن أهميتها مكتسبة من نصوص القرآن الكريم، فصارت مطلباً للمسلمين؛ للوصول إلى مرضاة الله تعالى وتحقيق الشهادة على الناس:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾ (البقرة: 143).

وقد ورد بيان المراد بالوسطية في معاجم اللغة وأقوال المفسرين أوورد طرفاً منها فيما يلي:
الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء: أوسطه (31)، وتأتي -وسط بالفتح - اسماً لما بين طرفي الشيء، ومن ذلك: قبضت وسط الحبل، وكسرت وسط القوس، وجلست وسط الدار وتأتي بمعنى خيار، وأفضل، فأوسط الشيء أفضله وخياره: كوسط المرعى خير من طرفيه، ومرعى وسط أي: خيار (32).
وكيفما تصرفت هذه اللفظة نجدها لا يخرج معناها عن معاني: العدل والفضل والخيرية، والنصف والبينية والتوسط بين الطرفين (33).

(29) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، طبعة مكتبة الأسرة، 2000م. ص: 326.

(30) المصدر السابق: ص (285، 286)

(31) مقاييس اللغة (6/108)

(32) لسان العرب (7/428، 427)

(33) وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد با كريم محمد با عبد الله، دار الراجحة للنشر والتوزيع، ط/11415هـ، 1994م، (ص17).

وقال الإمام الطبري في تعريف الوسط: "فإنه في كلام العرب: الخيار، يقال منه فلان وسط الحسب في قومه أي متوسط الحسب إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه، وهو وسط في قومه... إلى أن قال: وأرى أن الله - تعالى ذكره - إنما وصفهم بأنهم وسط؛ لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم وكفروا به ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك؛ إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها" (34).

ووصف الأمة بالوسطية يدل على خيريتها وعدالتها وشهادتها على جميع الأمم، فمعنى وسطاً: عدولاً أخياراً، قال ابن عطية: "وسطاً: معناه عدولاً، روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتظاهرت به عبارة المفسرين، والوسط الخيار والأعلى من الشيء، كما تقول وسط القوم، وواسطة القلادة أنفس حجر فيها (35).

ولفظ الوسط مشعرٌ بالسببية، ففيه دليلٌ على أن المسلمين خيار وعدول؛ لأنهم وسط، ليسوا من أرباب الغلو في الدين المفرطين، ولا من أرباب التعطيل المفرطين، وهم كذلك في العقائد والأخلاق والأعمال، فالوسطية ليست معياراً بشرياً تحدد من خلاله الفضائل، لكنها خاصية أختص بها دين الإسلام، وتميزت بها شرائعه، فالدين وأهله براء من الإفراط والتفريط، والوسطية كمفهوم يلاحظ في جميع جوانب الإسلام، وجزئياته، فهي تشمل الحياة في كل جوانبها ومعانيها (36).

المطلب الثاني: التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية:

تواجه الأمة الإسلامية هجمات استهدفت هويتها بل وجودها وكانت بداية تلك المحاولات الحروب - بصورها المختلفة وأشكالها المتعددة- التي حاول المشركون في مكة من خلالها القضاء على الإسلام واستئصال المسلمين، ولا زالت المحاولات مستمرة لطمس الهوية الإسلامية واستبدالها بهوية أعدائها وصدق الله القائل سبحانه في محكم التنزيل: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمُ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: 217) وهذا الوصف عام لكل الكفار، فهم لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم، وخصوصاً أهل الكتاب من اليهود والنصارى، من خلال وسائل وأساليب متنوعة فصارت الهوية الإسلامية تواجه تحديات كثيرة من أبرزها:

(34) جامع البيان (6/2).

(35) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (218/1).

(36) ينظر الغلو في الدين، د. عبد الرحمن بن معلا اللويح، ص32.

أولاً: التحديات الخارجية:

التحديات الخارجية التي تواجه الأمة في هذا العصر كثيرة جداً سيركز الباحث على أهمها:

1- الغزو الفكري:

الغزو الفكري من أخطر الأساليب التي اتخذها الأعداء لمحاربة الأمة الإسلامية في هذا العصر بدلاً عن الغزو العسكري، وذلك لضرب عقيدة الأمة، وتشويه تاريخها، وسلخها عن القيم والمبادئ التي تنتمي إليها، وتزامنت تلك الهجمات مع تحديات داخلية ساهمت في ذلك، وفي مقدمتها الفرقة والانقسام، وعلى ذلك فيمكن اعتبار الغزو الفكري، وتفرق الأمة أخطر التحديات المعاصرة التي تواجه الهوية الإسلامية، وتكمن خطورة الغزو الفكري لكونه حرباً دائمة ممتدة إلى جميع شعب الحياة الإنسانية، ونتيجته ذوبان هوية الأمة المهزومة وانصهارها في بوتقة أعدائها، واستبدال قيم ومعايير الأمة المهزومة بقيم ومعايير الغزاة المنتصرين، وجعلها تتخذ أنماطاً جديدة في السلوك والأخلاق والأذواق، وسلاح هذا الغزو هو الفكرة والكلمة والرأي والشهوات والشبهات وخرابة المنطق وبراعة العرض، وشدّة الجدل، ولدادة الخصومة، وتحريف الكلم عن مواضعه، وغير ذلك مما يقوم مقام السيف والصاروخ في أيدي الجنود، والفارق بينهما هو نفس الفارق بين وسائل وأساليب الغزو الفكري قديماً وحديثاً (37).

نشأة وتطور الغزو الفكري:

ظهرت بدايات الغزو الفكري للإسلام والمسلمين مع قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وكان اليهود هم مصدر ذلك الغزو، فقد واجهوا الإسلام والمسلمين في المدينة بأساليب وطرق مختلفة من وسائل الكيد للتأثير على الإسلام بغية التحريف فيه، وللتأثير على مشركي العرب لصدهم عن الدخول في الإسلام، ولا تحفى مكائد عبدالله بن سبأ اليهودي ومن معه، وبعد انتشار الإسلام واجهت الهوية الإسلامية الأفكار الشعبوية التي كانت تهدف إلى تعدد الهويات بدلاً عن هوية الإسلام الجامعة، وكان للنصارى محاولات في الغزو الفكري منذ فجر الإسلام، إلا أنها لم تكن ذات أثر قوي، حتى انتهت الحروب الصليبية دون تحقيق أهدافها، فبدأوا بالتخطيط لتتصير العالم الإسلامي، أو صرفه عن الإسلام (38) وصدق المولى سبحانه القائل في محكم كتابه:

(37) ينظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام للدكتور سعد الدين السيد صالح، ص 31-33، مكتبة الصحابة الشارقة، الطبعة الأولى 1419هـ-1998م.

(38) انظر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن بن حسن خبّكّة الميداني الدمشقي، دار القلم - دمشق (ط/8)، 1420 هـ - 2000 م (ص 27، 28)، والأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة، عبد الوهاب بن احمد عبد الواسع، مكتبة العبيكان، (ط/1)، 1422هـ، 2001م، (81، 82).

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آهْوَاءَهُمْ
بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ (البقرة: ١٢٠).

فهم دائبون في محاولاتهم لإخراج المسلمين من نور الإسلام إلى ظلمات ملهم المحرّفة، ولا يخفى ما آل إليه الأمر في هذا الزمان مع انتشار وسائل التواصل بكافة أنواعها، فانطلقت كل قوى التغريب والغزو الفكري في هذا الاتجاه.

ونقف هنا عند وسيلتين من وسائل الغزو الفكري المعاصر وهما العلمانية والعولمة.

أ- العلمانية (SECULARISM):

العلمانية في اللغة معناها اللادينية، وهذا المعنى مأخوذ من ترجمة مصطلح (SECULARISM) إلى اللغة العربية، وفي الاصطلاح: مذهبٌ من المذاهب الفكرية، التي تدعو إلى إقامة الحياة على غير الدين، وفي الجانب التشريعي تعني: فصل الدين عن الدولة، أو فصل الدين عن الحياة، ولا صلة لها بالعلم أو المذهب العلمي، فالترجمة الدقيقة لكلمة العلمانية (SECULARISM) هي: اللادينية أو الدنيوية ومن الخطأ ترجمتها بالمذهب العلمي أو ما شابه ذلك، وعرفت دائرة المعارف البريطانية تعريف العلمانية بانها: "حركة اجتماعية تتجه نحو الاهتمام بالشؤون الدنيوية بدلاً من الاهتمام بالشؤون الآخروية".⁽³⁹⁾ ولقد كان للنصارى العرب المقيمين في بلاد المسلمين دورٌ كبيرٌ، في نقل الفكر العلماني إلى ديار المسلمين، والمساهمة في نشره عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، كما كان أيضاً للبعثات التعليمية للطلاب المسلمين إلى بلاد الغرب لتلقي أنواع العلوم الحديثة أثرٌ كبيرٌ في نقل الفكر العلماني إلى بلاد المسلمين، حيث تأثروا بما رأوا من مظاهر التقدم العلمي، فرجع الكثير منهم وهو يحمل العادات والتقاليد، والنظم الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية، وعملوا على نشرها والدعوة إليها⁽⁴⁰⁾، واعتق هذا المذهب الهدام كثيرٌ من أبناء المسلمين لا سيما في البلدان التي دخلها الاستعمار، ونشأت منظمات وأحزاب تنادي بالعلمانية، بل آل الأمر إلى إقرارها في دساتير بعض الدول الإسلامية، فهناك عدد من الدول الإسلامية - التي أغلبية سكانها مسلمين - تنص دساتيرها على أن "الدولة علمانية ديمقراطية" أو على أنها "دولة محايدة دينياً ليس لها دين رسمي منها: تركيا، السنغال، ألبانيا، بوركينا فاسو، كوسوفو، مالي، أوزبكستان، تشاد، غينيا، كازاخستان، أذربيجان، بنغلاديش، طاجيكستان، تركمانستان وغيرها أما اندونيسيا التي يزيد تعداد سكانها عن 250 مليون نسمة - فلم ينص دستورها على ديانتها ولم يذكر أي دين رسمي للدلة، ولم يذكر العلمانية صراحة: لكن

(39) ينظر: ترجمة الموسوعة البريطانية، 28 نيسان 2011، موسوعة ويكيبيديا على الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9#cite_note-16

(40) المصدر السابق، ص6

دستورها يسمح عملياً لأي مواطن بتولي منصب رئاسة الدولة مهما كان دينه أو عقيدته، ولا يشترط الدستور أن يكون الرئيس أو المترشح للرئاسة مؤمناً بدين معين (41).

وللعلمانية نتائج وآثار سلبية كبيرة على الهوية الإسلامية أورد جانباً منها بإيجاز:

1- رفض الحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى، وإقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة، والاستعاضة عنها بالقوانين الوضعية، واعتبار الدعوة إلى الحكم بما أنزل الله تخلفاً ورجعية وردة عن التقدم والحضارة.

2- تحريف التاريخ الإسلامي وتزييفه، وتصوير العصور الذهبية لحركة الفتوح الإسلامية، على أنها عصور همجية تسودها الفوضى، والمطامع الشخصية.

3- إفساد التعليم وجعله خادماً لنشر الفكر العلماني وذلك عن طريق:

أ - بث الأفكار العلمانية في محتويات المواد الدراسية في مختلف مراحل التعليم.

ب - تقليص الفترة الزمنية المتاحة لمواد التربية الإسلامية.

ج - تحريف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح مقتضبة ومبتورة لها، بحيث تبدو وكأنها تؤيد الفكر العلماني، أو على الأقل أنها لا تعارضه.

د - جعل مادة الدين مادة هامشية، حيث يكون موضعها في آخر اليوم الدراسي، ولا تأثير لها في تقديرات الطلاب.

4- إذابة الفوارق بين المسلمين وغيرهم من الملل والديانات الأخرى، وصهر الجميع في إطار واحد، وجعلهم جميعاً بمنزلة واحدة من حيث الظاهر، فالمسلم والنصراني واليهودي والشيعي والمجوسي والبرهمني كل هؤلاء وغيرهم، في ظل هذا الفكر بمنزلة واحدة، لا فضل لأحد على الآخر إلا بمقدار الاستجابة لهذا الفكر العلماني.

5- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، وتهديم بنیان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في المجتمع، وتشجيع ذلك والحض عليه: وذلك عن طريق:

أ - القوانين التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها، وتعتبر ممارسة الزنا والشذوذ من باب الحرية الشخصية التي يجب أن تكون مكفولة ومصونة.

ب - وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز وغيرها من الوسائل التي لا تكل ولا تمل من محاربة الفضيلة ونشر الرذيلة ليلاً ونهاراً.

ج - فرض السفور والاختلاط في المدارس والجامعات ومحاربة الحجاب الشرعي.

(41) من مقال للكاتب مبارك بلقاسم، استند إلى نصوص مأخوذة من دساتير البلدان المذكورة، منشور في جريدة

هسبريس الإلكترونية المغربية يوم الأحد 31 يوليو 2016،

على الرابط <https://www.hespress.com/writers/316166.html>

6-إفساح المجال في وسائل الإعلام المختلفة للعلمانيين لنشر فكرهم، وتحريف معاني النصوص الشرعية.

ب-العولمة:

لفظ العولمة تعريب لكلمة "Globalisation" في اللغة الإنكليزية، وهو مشتق من لفظ "العالمية"، ومعناها: تعميم شيء ما على البشرية على مستوى العالم، وذلك يعني حرية انتقال وتدفق المعلومات، والأفكار، والسلع، والمنتجات الثقافية، والإعلامية، والبشر، بين جميع المجتمعات الإنسانية، وهي وجه من وجوه الاستعمار المعاصر وأداة من أدوات سيطرة الغرب الأوربي والأمريكي على العالم، ولذلك يطلق عليها بعض الكتاب-الأمركة⁽⁴²⁾. وهناك تعريفات مختلفة للعولمة ولعل أقربها التعريف الآتي:
خطورة العولمة وآثارها السلبية على الهوية الإسلامية:

الآثار السلبية للعولمة الثقافية على الهوية الإسلامية كثيرة جداً؛ لما تحمله من أنماط ثقافية، وأفكار تسهم في التخلي عن الهوية، وإعادة تشكيل الهويات، وبالتالي تساعد الهيمنة الفكرية أو الثقافية، على ترويج بعض الأفكار التي تتفق مع الرؤية الغربية عامة والأمريكية خاصة، فهي غزو للمسلمين في أفكارهم وأخلاقهم وتراثهم، بل وفي مآكلهم ومشربهم وفي لباسهم أيضاً⁽⁴³⁾، فالدعوة إلى العولمة الثقافية لا تخرج في حقيقتها عن محاولة لتذويب الثقافات والحضارات وإلغاء الخصوصيات الحضارية لصالح حضارة الغالب، والعالم الإسلامي يعد أول المستهدفين؛ ذلك لأن الثقافة الإسلامية التي تشكل هوية الأمة ومعالم شخصيتها الحضارية، مستمدة من نور الوحي؛ فالاستهداف يتركز حول عقيدة الأمة الإسلامية⁽⁴⁴⁾.

ويمكن إجمال القول في مخاطر العولمة على الأمة الإسلامية وهويتها في الآتي:

• في المجال الديني:

1- نشر ثقافة الكفر والإلحاد؛ لأن كثيراً من الشعوب لا يؤمنون بدين ولا يعترفون بعقيدة سماوية، أو يعتقدون الديانات السماوية المحرفة ويعملون على نشرها ودعوة الناس إليها.

(42) أساليب الغزو الفكري، د. وليد أحمد الشجيري، منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد الثالث من العدد الثالث والثلاثين ص1174، 1186.

(43) انظر: العولمة الثقافية في ضوء العقيدة الإسلامية - عرض ونقد، رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدراسات العليا-الجامعة الأردنية، مبارك بن نزال العنزي، (ص98)

(44) انظر: دراسات وأبحاث في قضايا معاصرة، سارة بنت محمد بن صالح الحسني، دار خالد اللحائي للنشر والتوزيع - مكة المكرمة، الطبعة الأولى 2017م، ص186،

2- التشكيك في المعتمدات الدينية، والاستهانة بالمقدّسات لدى الشعوب المسلمة لصالح الفكر المادي الإلحادي، وإحلال الفلسفة المادية الغربية محل العقيدة الإسلامية، وإضعاف عقيدة الولاء والبراء لدى المسلمين.

3- محاولة استبعاد الإسلام وتحتيته عن الحكم والتشريع والتربية والأخلاق، وإفساح المجال للنظم والقوانين الوضعية على اختلاف مشاربها لتحل محل تعاليم الدين القويم.

• في المجال الاقتصادي:

العولمة في بعدها الاقتصادي، تعني هيمنة الشركات الاقتصادية، والمؤسسات المالية الكبرى واحتكار الأسواق، ومصادر الغنى والثراء المادي من طرف الأقوياء، وتسخير الضعفاء لخدمة التوجه الاقتصادي الأمريكي بامتياز (45)، ومن الأدوات التي تستخدمها لتحقيق أهدافها: البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية والشركات العابرة للقارات.

• في المجال الثقافي:

مع أنّ العولمة قائمة على إزالة الحواجز والحدود أمام حركة التجارة، لإتاحة حرية تنقل السلع ورأس المال إلا أنّ أخطر النتائج المترتبة على عليها هي التحول الثقافي وفقدان الهوية لدى شعوب الأرض النامية؛ فالعولمة الثقافية تهدف إلى بلوغ البشرية إلى مرحلة الحرية الكاملة لانتقال الأفكار والمعلومات والاتجاهات والقيم والأذواق والأزياء على الصعيد العالمي، كما تتضمن إيجاد ثقافة عالمية واحدة وعالم بلا حدود ثقافية يسمح بنقل الأفكار والأديان والأفكار إلى المستوى العالمي (46)، وتسعى إلى التأثير على الحياة الثقافية والاجتماعية بما تتضمنانه من أنماط سلوكية ومذاهب فكرية، وكل ذلك هو الذي يساهم في صياغة هوية الشعوب والأمم والأفراد على حد سواء (47)، ومن نتائج العولمة الثقافية ظهور سلوكيات وممارسات تختلف مع الثقافة الإسلامية الأصيلة، واستخدام لتحقيق هذه الأهداف المنابر الإعلامية والقنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي ووسائل النشر المتنوعة، بل انتشرت الجمعيات المدعومة من الدول والمنظمات الغربية في البلدان الإسلامية؛ وهدفها تزويد الهوية الإسلامية، وإثارة الشبهة والشكوك حول النظم والتشريعات الإسلامية، والعمل على إصدار القوانين وفق مواثيق

(45) إشكالية الهوية والعولمة الثقافية / بوزغاية باية، / ابن داود العربي جامعة قاصدي مرباح - ورقلة - الجزائر،

منشور على الرابط: <https://revues.univ-ouargla.dz/index.php/numero-05-ssh/1194-2013> - 05-22-11-17-16

(46) انظر: آثار العولمة على نظم الحماية الاجتماعية في الوطن العربي، د عبدالله عويدات، جامعة عمان العربية، بحث مقدم إلى مؤتمر الحماية الاجتماعية والتنمية جامعة نايف بن عبد العزيز العربية للعلوم الأمنية (ص 18)

(47) إشكالية الهوية والعولمة الثقافية / بوزغاية باية، / ابن داود العربي جامعة قاصدي مرباح - ورقلة - الجزائر،

منشور على الرابط: <https://revues.univ-ouargla.dz/index.php/numero-05-ssh/1194-2013> - 05-22-11-17-16

الأمم المتحدة ولو تعارضت مع الشريعة الإسلامية، ونتج عن ذلك نشر ثقافة الإباحية والجنس المفتوح، وثقافة التقليد لكل ما جاء من الغرب حتى في المأكل والمشرب والملبس، فقد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أنها ستعمل على نشر القيم والسلوك ونمط الحياة الأمريكي في العالم كله، وهو ما يعني الغزو للشعوب وعقائدها وثقافتها، فتبين أن للعولمة أهدافاً تطال خصوصيات الشعوب وهويتها الثقافية ومصالحها، وتهدف إلى تعميم نماذج وأنماط من العيش والسلوك (48).

فالعولمة ليست سوى امتداد للغزو الاستعماري الصليبي للعالم الإسلامي الذي بدأ منذ عدة قرون.

• في المجال السياسي:

عملت العولمة على إخضاع العالم للمصالح الأمريكية "القطب الواحد"، وخدمة الكيان الصهيوني مع العمل على محاربة الدول الإسلامية وتمزيقها باستخدام الأقليات الدينية والعرقية والأحزاب والمنظمات التي تسير في ركابها، فالعولمة نظام يقفز فوق حدود الدولة والوطن والأمة، فهي تقوم على الخصخصة إي نزع ملكية الأمة والوطن والدولة ونقلها إلى القطاع الخاص المرتبط بقوى العولمة، والذي يحقق أهدافها ومتطلباتها وهكذا تتحول الدول إلى جهاز تابع لقوى العولمة (49).

ثانياً: التحديات الداخلية التي تواجه الهوية الإسلامية

أ- التخلي عن الهوية أو التنازل عن شيء منها:

لا يخفى أن التفريط بالهوية والتخلي عن شيء منها من أعظم التحديات التي تهدد الأمة من داخلها، وأحياناً يكون التفريط بالهوية بعدم الالتزام بها واقعاً عملياً معاشاً وممارسة سلوكية في جميع مجالات الحياة، وإيجاد فجوة بين المبادئ والممارسات العملية، وهذا من أسباب المقت عند الله سبحانه وتعالى القائل في محكم كتابه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٤﴾﴾ (الصف: 2، 3)

وقد يكون التخلي عن الهوية الإسلامية قولاً وفعلاً، فالبعض يرى أن الحديث عنها نوعاً من الرجعية والتخلف، وينادون بالعلمانية أو العولمة التي ينتج عنها تزوير الهوية الإسلامية لصالح غيرها من الأمم، والعمل على تحقيق أهداف الاستعمار بأيدي المسلمين، ومن شواهد تخلي بعض المسلمين عن دينهم بالكلية مقولة مصطفى كمال أتاتورك "نحن الآن في القرن العشرين لا نستطيع أن نسير وراء كتاب يتحدث عن التين والزيتون" (50)، وغيرها الكثير من الأقوال والممارسات التي تدل على التخلي عن الهوية الإسلامية بل والوقوف ضدها.

(48) الصهيونية والعولمة، د. سيد يعقوب، مجلة الفكر السياسي، العدد السادس عشر، 2002، ص 264 وما بعدها.

(49) العولمة السياسية ومخاطرها على الوطن العربي، محمد أحمد السامرائي، مجلة الفكر السياسي، العدد (14)

ص 116

(50) يهود الدنومة، د. أحمد نوري النعيمي، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2011 (ص 187).

ب- الفرقة والتنازع:

من التحديات الداخلية التي تواجه الهوية الإسلامية ما أصاب المسلمين من التفرق والتنازع بسبب عصبية ما أنزل الله بها من سلطان، وغزو فكري أنتج كيانات وقوى تسير في فلكه، وجهل من بعض المسلمين، وهذا ما حذر منه العليم الخبير بقوله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾
 ﴿ (الأنعام: 159)، وقوله سبحانه ﴿ مُبَيِّنَ إِلَيْهِ وَآتَوْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٦﴾
 مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الروم: 31، 32)

وفي هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقاً كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل (51)، ونتج عن ذلك: الفشل وذهاب الريح فضلاً عن اهتزاز الهوية أو ضعفها قال تعالى:

﴿...وَلَا تَنْزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأنفال: 46)

والريح: القوة والنصر، وقيل المراد بالريح: الدولة شبهت في نفوذ أمرها بالريح في هبوبها (52) ولخطورة الفرقة وسوء عواقبها جاء الأمر بالاعتصام بحبل الله والاجتماع عليه مقروناً بالأمر بالتمسك بالإسلام وهدية القويم حتى الممات، مع بيان نعمة الله على عباده المؤمنين في التأليف بين قلوبهم والمواخاة بينهم فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (آل عمران: 102، 103)

فقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام وبالقرآن ونهاهم عن التفرق الناشئ عن الاختلاف في الدين، ثم أمرهم بأن يذكروا نعمة الله عليهم، وبين لهم من هذه النعمة ما يناسب المقام وهو أنهم كانوا أعداء مختلفين يقتل بعضهم بعضاً، وينهب بعضهم بعضاً، فأصبحوا بسبب هذه النعمة إخواناً وكانوا على شفا حفرة من النار بما كانوا عليه من الكفر فأنقذهم الله من هذه الحفرة بالإسلام" (53).

(51) تيسير الكريم الرحمن (1/641)

(52) انظر: فتح القدير (2/315)

(53) المصدر السابق (1/367)

المبحث الثاني: معالم تعزيز الهوية الإسلامية:

من المسلمات أنّ القرآن الكريم هو المصدر الأول لتعزيز الهوية الإسلامية، ولا شك أن استلهام دروسه وهداياته يُعزز الهوية الإسلامية لدى المسلمين جميعاً، وفي هذا المبحث نقف مع معالم تعزيز الهوية الإسلامية من خلال آيات من الذكر الحكيم وتأتي في أربعة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: تعزيز الهوية الإسلامية في مجال العقيدة.

العقيدة الصحيحة أهم دعائم الهوية الإسلامية، وقد اعتنى القرآن الكريم ببنائها وحراستها وتعزيزها لحفظها من مطاعن الملحدين وشبهات المبطلين، وذلك من خلال الآتي:

أولاً: الإعلاء من شأن الإيمان وأهله ومدحهم والثناء عليهم:

فجاء تقرير علو منزلة المؤمنين عند الله في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: 139).

قال البيضاوي "﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾: وحالكم إنكم أعلى منهم شأنًا؛ فإنكم على الحق وقتالكم لله، وقتالكم في الجنة، وإنهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتالهم في النار..." (54) واستدل جماعة من المفسرين بقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَكُنْ يَتَرَكُ أَعْمَلَكُمْ ﴾ (محمد: 35) على النهي عن الصلح مع الكفار ومسالمتهم إذا كان هذا الصلح أو تلك المسالمة تؤدي إلى إذلال المسلمين أو إظهارهم بمظهر الضعيف القابل لشروط أعدائه، أما إذا كانت الدعوة إلى السلم لا تضر بمصلحة المسلمين فلا بأس من قبولها، عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَحُوا لِلْسَّلَامِ فَأَجْجَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنفال: 61) (55)، ولما قال رأس النفاق مقولته الشيعة التي وصف بها الرسول ومن معه من المؤمنين بالذلة، تولى العزيز الحكيم الدفاع عنهم وبين أن لهم العزة من دون الناس يستمدونها من عقيدتهم وإيمانهم برب العزة والجلال فقال تعالى:

﴿ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون: 8)

قال الرازي: "أي الغلبة والقوة لمن أعزه الله وأيده من رسوله والمؤمنين، وعزهم بنصرته إياهم وإظهار دينهم على سائر الأديان وأعلم رسوله بذلك" (56).

(54) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي (95/2).

(55) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي (248/13).

(56) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت 1421 هـ - 2000م، الطبعة: الأولى (16/30).

وقال الزمخشري: "وهم الأخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين" (57).

ومن مقاصد الآية الكريمة الحث على طلب العزة من الله، والالتجاء إلى عبوديته، والانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين لهم النصرة في هذه الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد (58).

ثانياً: بين المولى سبحانه أن الدين المقبول عند الله هو الإسلام وما عداه مردود:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَعْلَامٌ بِغِيَاثِ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (آل عمران: ١٩)

قال ابن كثير: "إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد صلى الله عليه وسلم، فمن لقي الله بعد بعثته محمداً صلى الله عليه وسلم بدين على غير شريعته، فليس بمتقبل كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٥) (59).

ثالثاً: وصف الله تعالى هذه الأمة بأنها خير أمة أخرجت للناس:

قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَتَوَّءَمَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

الخطاب في الآية لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يعم سائر أمته وروى الترمذي عن عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ « إِنَّكُمْ تَتَمُونُ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ » (60) وفيه دليل على

(57) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر

الزمخشري، دار الكتاب العربي . بيروت-1407هـ، (543/4).

(58) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي، دار الفكر -بيروت 1401 هـ، (567/1).

(59) المصدر السابق (355/1).

(60) أخرجه الترمذي في جامعه المعروف بسنن الترمذي كتاب تفسير القرآن الكريم، باب ما جاء في سورة آل عمران (226/5)، قال الألباني: حديث حسن، وأحمد في المسند، مسند البصريين، حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، دار الرسالة -بيروت، (231/33) رقم الحديث (20029) الطبعة الأولى 1420-2001هـ، وأخرجه الحاكم في المستدرک وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (94/4).

أن هذه الأمة الإسلامية خير الأمم على الإطلاق وأن هذه الخيرية مشتركة ما بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم (61).

رابعاً: الوعد لعباده المؤمنين بالجزاء الحسن والخلود في الجنة:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٨٢)

(البقرة: ٨٢) وقد تكرر تقرير هذا المعنى في آيات كثيرة وفي ذلك تأكيد على أن أصحاب الجنة هم المؤمنون الذين جمعوا بين الاعتقاد وعمل الصالحات، وفي ذلك رد على ما يلقيه أهل الكتاب من الشبه ضمن سعيهم في الصد عن دين الله القويم وصراطه المستقيم فقد زعموا أن الجنة حكراً عليهم، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: ١١١) فجاء الجواب من العليم الخبير على تلك الدعوى بثلاثة ردود أولها: أن تلك الأقوال مجرد أمانى ما أنزل الله بها من سلطان، والثاني: مطالبتهم بالدليل والبرهان على قولهم إن كانوا صادقين، والثالث: عقب على دعواهم بقوله: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: 112).

ثم تقرر حكماً عاماً وهو أن الجنة لكل من أسلم وجهه لله وهو محسن، وهو من أخلص دينه لله وأحسن عمله، ولا يكون ذلك إلا باتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (62).

خامساً: التحذير من اتباع اليهود والنصارى في معتقداتهم واتخاذهم أخلاء وأصدقاء:

قال تعالى: ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة: ١٢٠)

قال ابن كثير "وليست اليهود ولا النصارى براضية عنك أبداً فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، وفي قوله تعالى:

﴿ وَلَئِنْ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعد ما علموا من القرآن والسنة فإن الخطاب مع الرسول

(61) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث

العربي - بيروت، (71/2)، فتح القدير (371/1).

(62) انظر: تيسير الكريم الرحمن (63/1)

والأمر لأمته" (63)، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ (آل عمران: 100).

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ (آل عمران: 118).

قال القرطبي: " نهى الله المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء، يفاوضونهم في الآراء ويسندون إليهم أمورهم، وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المرء على دين خليله فليُنظر أحدكم من يخال» (64) ... وقيل لعمر - رضي الله عنه: إن ها هنا رجلاً من نصارى الحيرة لا أحد أكتب منه ولا أخط بقلم، أفلا يكتب عنك فقال: " لا آخذ بطانة من دون المؤمنين" (65).

وفي هذه الآيات تحذير للمؤمنين من عقد الصلوات والصدقات مع الكافرين والمنافقين لأنها تؤدي إلى تسرب الأسرار، والاطلاع على أحوال المسلمين، مما تقضي المصلحة بكتمانه، ويؤدي إلى مخاطر تؤثر على كيان الأمة الإسلامية وهويتها (66).

سادساً: الأمر بمحاورة أهل الكتاب ودعوتهم إلى التوحيد وإظهار الاعتراز بالإسلام:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ سَيِّئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (آل عمران: 64).

المعنى: هلموا إلى كلمة فيها إنصاف من بعضنا لبعض لا ميل فيه لأحدٍ على صاحبه، والسواء هو العدل والإنصاف ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، فإن أبوا إلا الإصرار فقولوا إنا مسلمون، أي أظهروا أنكم على هذا الدين منقادون لأحكامه مرتضون به معترفون بما أنعم الله به علينا من هذا الدين القويم (67)، وقد امتثل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر الله، فدعا اليهود في المدينة، ونصارى

(63) تفسير القرآن العظيم (164/1)

(64) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب البر والصلة، باب من يؤمر أن يجالس (259/4) حديث رقم (4833)، والترمذي، كتاب البر والصلة (589/4) رقم الحديث (2378).

(65) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (4/178، 179)

(66) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، 1418 هـ، (4 / 55).

(67) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (77، 76/8)، فتح القدير (348/1)

نجران الذي نزلت فيهم الآيات، بل أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى التوحيد، واستدل في كتبه إليهم بهذه الآية الكريمة، فقد ثبت في الصحيحين ذكر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل في حديث طويل وفيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمُ تَسْلَمُ وَأَسْلِمُ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنْ عَلَيْكَ إِثْمَ الْيَارِيسِيِّينَ (68) ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (69).

سابعاً: الترغيب في الدعوة إلى الله والاعتزاز بالانتماء إلى الإسلام:

والدعوة لا تكون إلا ممن وقر الإيمان في قلبه، واعتز بدينه وأعلنه للعالمين وصار مستعداً لبذل الغالي والنفيس في سبيله، قال سبحانه:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: 33) أي لا يوجد قولٌ أحسن من الدعوة إلى الله بكل طرقها ووسائلها.

قال الشوكاني: "والأولى حمل الآية على العموم كما يقتضيه اللفظ، ويدخل فيها من كان سبباً لنزولها دخولاً أولياً، فكل من جمع بين دعاء العباد إلى ما شرعه الله، وعمل عملاً صالحاً، وهو: تأدية ما فرضه الله عليه مع اجتناب ما حرمه عليه، وكان من المسلمين ديناً لا من غيرهم، فلا شيء أحسن منه، ولا أوضح من طريقته، ولا أكثر ثواباً من عمله" (70).

وقال الطاهر بن عاشور: "﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فهو ثناء على المسلمين بأنهم افتخروا بالإسلام واعتزوا به بين المشركين ولم يتستروا بالإسلام" (71).

(68) الإريسيين بكسر الهمزة وتشديد الراء، قال النووي: "اختلفوا في المراد بهم على أقوال أصحابها وأشهرها أنهم الأكارون أي الفلاحون والزراعون، ومعناه أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك، ونبه بهؤلاء على جميع الرعايا لأنهم الأغلب ولأنهم أسرع انقياداً فإذا أسلم أسلموا وإذا امتنع امتنعوا وهذا القول هو الصحيح، وقد جاء مصرحاً به في رواية روينها في كتاب دلائل النبوة للبيهقي وفي غيره فإن عليك إثم الأكارين" المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي (12 / 109)

(69) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، (4/1658)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، بابُ كِتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هِرَقْلَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ (3/1396).

(70) فتح القدير (4/645)

(71) التحرير والتنوير (25/55)

ثامناً: البشارة للمؤمنين بالنصر والتمكين في الأرض ما داموا متمسكين بدينهم عقيدة وشريعة:

فقال في محكم التنزيل: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (النور: 55).

قال السعدي: "هذا من وعوده الصادقة، التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعدٌ من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، ... فقام صدر هذه الأمة، من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكّنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن التام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلط عليهم الكفار والمنافقين، ويديهم في بعض الأحيان، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح" (72).

ولا يخفى الأثر العظيم الذي تتركه هذه الآيات ونظائرها في نفوس المؤمنين من الاعتزاز بدينهم والتمسك بهويتهم إيماناً بوعدهم الله سبحانه وتعالى لهم بالنصر والتمكين والفوز بسعادة الدارين.

المطلب الثاني: تعزيز الهوية الإسلامية في مجال العبادات.

يشعر المؤمنون بالعزة وهم يتدبرون قول الله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعًا أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَفَازَرَهُ فَأَسَاطَرُ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفِهِ يَعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفتح: 29).

فكمال العزة بكمال الطاعة والإكثار من الركوع والسجود لرب العالمين، وبين الله صفات هذه الأمة في المثل الذي وصفهم به في التوراة بأنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم، ركعاً سجداً، وقد شرع المولى سبحانه وتعالى الشعائر التعبدية وأمر بإظهارها فالصلوات المفروضة تؤدي في جماعات بالمساجد، ويرفع لها الأذان خمس مرات في اليوم والليلة، وجعلت صلاة الجمعة مؤتمراً مصغراً يحضره المسلمون كل أسبوع، ورتب الأجور العظيمة على إقامة تلك الشعائر فقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعَامُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الجمعة: 9)، ولا شك أن حضور الجمع والجماعات وعمارمة المساجد بالصلوات والطاعات، يوثق عرى

الإيمان ويؤدي إلى الاعتزاز بهذا الدين العظيم، ويحدث العكس من ذلك إذا ضيعت الصلوات وهجرت المساجد والجماعات كما في قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴾ (مريم: ٥٩).

وأثنى على عمّار المساجد بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (التوبة: 18)، ويدخل في ذلك الذين يقيمون بنيانها ويشيدون أركانها، والذين يعمرونها بالصلوات والطاعات، فقال جلّ شأنه: ﴿ فِي بُيُوتِ أَدْنَىٰ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْأَعْدِ وَالْأَصَالِ ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلَهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ (النور: 36، 37) فقولته: "رجال" فيه إشعار بهمتهم العالية، وعزيمتهم الصادقة، التي بها صاروا عماراً للمساجد التي هي بيوت الله في أرضه، كما قال تعالى: ﴿ قِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ... ﴾ (الأحزاب: ٢٣) وتخصيص المساجد بالذكر لأنها مصدر إشعاع عقدي وفكري وسلوكي وعلمي وسياسي في حياة المسلمين (73).

ولا يخفى تعلق أئمة المسلمين في أرجاء المعمورة بالحرمين الشريفين والمسجد الأقصى لشرفها وقدسيتها في الإسلام؛ ولأنها تمثل رموزاً عظيمة تدل على عظمة الإسلام والمسلمين كما أن حج البيت من الشعائر العظيمة التي تتجلى فيها عظمة ديننا الإسلامي ومظهر من مظاهر التمكين والعزة للمسلمين، فضيه ترفع راية التوحيد وتعظم شعائر الله وتوثق عرى الأخوة الإيمانية ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٣١) فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا تُبَيِّنُ لِقَابِ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿ (آل عمران: 96، 97).

وكانت أول حجة حجه المسلمون سنة تسع للهجرة بإمرة أبي بكر رضي الله عنه، وفيها أدن أبو بكر بالمشركين الذين حجوا: ألا يطوف بعد هذا العام مشرك، بعد نزول قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا... ﴾ (التوبة: ٢٨)، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر، واستمر المسلمون منذ ذلك التاريخ يهرعون بقلوب ملؤها الشوق والحنين والتعظيم إلى بيت الله الحرام كل عام، من مختلف الأقطار في المشارق والمغرب، تظلمهم راية الإيمان بالله تعالى، وترتفع أصواتهم بتلبية أوامر الله، وتخضع نفوسهم لتلك المواقف المهيبة، قاصدين تطهير أنفسهم من شوائب العصيان ومخالفة الأوامر الإلهية، وهم في صفوفهم

وتحركاتهم الجماعية منصهرون مادياً وفعالياً بمعنى المساواة، دون تفرقة بين سيد ومسود، وحاكم ومحكوم وغني وفقير، ومتجردون من مظاهر الدنيا وزينتها، فلا تكاد تجد في أنحاء العالم تجمعاً كثيفاً ومؤتمراً عالمياً، مثل مؤتمر الحج كل عام، حيث تجد فيه مختلف الجنسيات والألوان والألسنة من كل أنحاء العالم (74).

ولعظمة تلك الشعائر فإنَّ الله سبحانه وتعالى يباهي بالحجيج أهل السماء (75)، وفي ذلك إعلاءً للهوية الإسلامية.

المطلب الثالث: تعزيز الهوية الإسلامية في مجال الأخلاق.

تبين فيما تقدم أنَّ الأخلاق الحميدة من مقومات هويتنا الإسلامية، وقد جاءت النصوص القرآنية والنبوية الدالة على أهميتها وضرورة التمسك بها، ونستشهد ببعض تلك الآيات في هذا المقام ومنها قوله تعالى مادحاً لنبيه وخليته صلى الله عليه وسلم:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤)، وقوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف: 199)، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَسْتَوِيَ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت: 34)، ولا شك أنَّ التمسك بالأخلاق الحميدة وربطها بالانتماء للأمة الإسلامية يعزز من هويتها لدى الفرد والمجتمع في آن واحد، ووصف الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بالخيرية المطلقة بقوله :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (آل عمران: 110) ودلالة هذه الآية الكريمة ظاهرة في إعلاء شأن هذه الأمة وتعزيز هويتها، قال ابن كثير: "فهذه الأمة أشرف وأفضل عند الله، وأكمل شريعةً، وأقوم منهاجاً، وأكرم نبياً ...، وأدوم عزراً (76).

(74) المصدر السابق (2 / 196)

(75) يدل على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء فيقول لهم : انظروا إلى عبادي جاؤوني شعناً غيرا » أخرجه أحمد في مسنده (2 / 305) رقم الحديث: (8033)، قال شعيب الأرنؤوط : صحيح، وهذا إسناد حسن، والمستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط/1)، 1411 - 1990، ت: مصطفى عبد القادر عطا (1 / 636)، رقم الحديث (1708).

(76) تفسير القرآن العظيم (2 / 38)

وشبه الرسول الكريم - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- أهل الإيمان بالجسد الواحد في تخلقهم بخلق الرحمة بقوله: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى» (77).

وجعل الله تعالى التقوى ميزاناً للتفاضل بين الناس الذين يستوون في أصل الخلقة وينتهون في أنسابهم جميعاً إلى آدم وحواء فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣٠﴾﴾ (الحجرات: 13)، ولن يكون من الأتقياء الفائزين من كانت أخلاقه سيئة فقد قرن رسول الله - صلوات ربي وسلامه عليه- بين التقوى وحسن الخلق في عدد من الأحاديث منها: حديث أبي هريرة -رضي الله عنه - قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «التقوى وحسن الخلق» (78)، وفي وصيته لأبي ذر -رضي الله عنه - فقال له: «يا أبا ذر اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» (79).

المطلب الرابع: تعزيز الهوية الإسلامية في مجال المعاملات، والعادات.

الدين الإسلامي هو الدين الكامل الذي ارتضاه الله للعالمين، ورفع من شأنه بقوله سبحانه: ﴿..الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ...﴾ (المائدة:3) وتبعاً لذلك الكمال جاءت الهوية الإسلامية مستوعبة لكل شؤون الحياة وتقدم الكلام في بداية البحث عن قول الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ (البقرة:138)، فلا يحتاج المسلمون لأي نظرية وضعية أو شريعة مُحَرَّفَةٌ لتحديد أهدافهم، وطريق سيرهم في هذه الحياة، والناظر في كتاب الله يجد العناية بالمعاملات في حياة المسلمين وكذلك بالعادات ليسير أبناء هذه الأمة على هدى القرآن الكريم ونوره المبين في كل شؤونهم، وعندما أضع بعض أفراد الأمة هويتهم، وذهبوا يتخبطون في دياجير ظلمات الحضارة الغربية المعاصرة بحثاً عن هوية، ظهرت نسخة مشوهة من الحضارة الغربية في البلاد الإسلامية، حيث ظهر من يقلدهم في ملبسهم ومأكلهم ومشربهم وقصات شعورهم، بل وحتى في سعيهم البهيمي في إشباع شهواتهم، وظهر من فتيات الإسلام كذلك من تبرجت وتركت حجابها وظهرت على شاشات الفضائيات والقنوات مغنية أو راقصة أو ممثلة، والأدهى من ذلك أن هناك

- (77) منقوق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (2238/5)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب ترأحم المؤمنين وتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ (1999/4)
- (78) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب الرقاق، (360/4) رقم الحديث 7919، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه صحيح ابن حبان بيان أن أكثر ما يدخل الناس الجنة التقى وحسن الخلق، (224/2) رقم الحديث 476.
- (79) أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب الإيمان (121/1) رقم الحديث 178، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والترمذي في السنن، كتاب الإيمان (355/4) رقم الحديث 1987.

من بني جلدتنا وممن يتكلمون بألسنتنا يسعون باسم الثقافة والتقدم إلى طمس الهوية الإسلامية بالكلية (80).

ولا نجاة من تلك المكائد إلا بالرجوع إلى المنهج القويم والسرطات المستقيم؛ فيعود للأمة مجدها، وتتم لها الشهادة على الناس أجمعين قال تعالى:

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا لِيُكْفَرُوا بِهِمْ وَإِنَّهُمْ لَمُؤْمِنُونَ لَئِنْ رَأَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ جُثَّةً مِنَ الْمُنْقَضِينَ كَانُوا يُخَالِفُونَ عَلَىٰ آلِهَتِهِمْ كَمَا خَالَفُوا وَآبَاءَهُمْ وَإِنِّي لَأَتَّبِعُ آلِهَتَهُمْ إِنِّي لِآتٍ بِآلِهَتِهِمْ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا لُزُومًا لِيُذَاقُوا عَذَابَ الْحَرِّ وَقَدْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا لَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَئِذٍ بِآيَاتِنَا أَفَلَا يُعْقِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الحج:78).

ويحسن بنا في هذا المقام النظر في بعض الصور والأمثلة التي ترشد إلى تعزيز هوية المسلم في ممارسة حياته العملية وعاداته وتقاليده المرتبطة بالشريعة الغراء، ومن ذلك:

1- الأمر أمر المؤمنين بالوفاء بالعقود والعهود فقال: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (النحل: ٩١).

فالمؤمن الصادق الممثل لأوامر الله - سبحانه تعالى- أشد الناس حرصاً على الوفاء بعقوده وعهوده وأيمانه، حتى وإن كانت تلك العقود والمعاهدات مع غير المسلمين بشرط عدم إخلالهم بها كما قال تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا لِيَتِمَّ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ مَدِينِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ (التوبة: ٤).

قال القرطبي: "في هذه الآية دليل على الوفاء بالعهد والتزامه، وكل عهد جائز ألزمه المرء نفسه فلا يحل له نقضه، سواء أكان بين مسلم أم غيره؛ لزم الله تعالى من نقض عهده وقد قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (المائدة: 1)، وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۗ ﴾ (الأنفال: ٥٨)، فنهى نبيه عن الغدر وذلك لا يكون إلا بنقض العهد" (81).

(80) انظر مقال للدكتور: خالد زوشه، بعنوان أزمة الهوية الإسلامية، موقع المسلم، منشور في 18 ذي الحجة 1429هـ، الرابط:

<http://amoslim.net/node/103661>

(81) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (1 / 248).

2- نهى المؤمنين عن نكاح المشركات وإنكاح المشركين مع بيان أفضلية المؤمنين على غيرهم قال تعالى:

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ۚ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أَعْبَتَكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبٌ مُّؤْمِنٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾ (البقرة: 221).

ثم بين سبحانه وتعالى الحكمة في تحريم نكاح المسلم أو المسلمة لمن خالفهما في الدين فقال: "أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ" أي في أقوالهم أو أفعالهم وأحوالهم، ويستفاد من ذلك: النهي عن مخالطة كل مشرك؛ لأنه إذا لم يجز التزوج منهم مع أن فيه مصالح كثيرة فالخلطة المجردة من باب أولى، وخصوصاً الخلطة التي فيها ارتفاع المشرك ونحوه على المسلم كالخدمة ونحوها (82).

3- تحريم التعامل بالربا وجعل ترك التعامل به علامة لصدق الإيمان فقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾ (البقرة: 278)

فأمر المؤمنين بالتقوى وترك التعامل بالربا مطلقاً إن كانوا صادقين في إيمانهم وانتمائهم للهوية الإسلامية.

4- ومن الشواهد على تعزيز الهوية الإسلامية في العادات: توجيه القرآن الكريم للمؤمنين أن يتميزوا في لباسهم وسمتهم، فحرم لبس الذهب والحريير على ذكور هذه الأمة (83)، وأمرهم بالتجمل وأخذ الزينة عند الحضور إلى المساجد فقال سبحانه: ﴿ يَبْنَىٰ عَادَمٌ حُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأعراف: 31).

قال السعدي: "يحتمل أن المراد بالزينة هنا ما فوق ذلك من اللباس التنظيف الحسن، ففي هذا الأمر بستر العورة في الصلاة، وباستعمال التجميل فيها ونظافة السترة من الأنداس والأنجاس" (84).

5- تحريم التشبه بالكافرين في السمات واللباس والمناسبات.

(82) تيسير الكريم الرحمن (99/1).

(83) صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: " ... ونهانا عن خواتيم أو عن تختم بالذهب، وعن شرب بالفضة، وعن المياثر، وعن القسي، وعن لبس الحريير والإستبرق والديباج "صحیح مسلم، باب تحريم استعمال إثناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحريير على الرجل وإباحته للنساء (1635/3)، رقم الحديث 2066، وعند أحمد بلفظ: «أحل الذهب والحريير للإناث من أمتي وحرم على ذكورها»، مسند

أبي موسى الأشعري (392/4) رقم الحديث 19520.

(84) تيسير الكريم الرحمن، (1 / 287)

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الحديد: ١٦).

يفهم من الآية العموم في النهي التشبه بأهل الكتاب في كل شيء.

قال ابن كثير: " أي: فسدت قلوبهم فقسست وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه، وتركوا الأعمال التي أمروا بها، وارتكبوا ما نهوا عنه؛ ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية" (85)، ويدل على ذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفة المشركين والمجوس في هيئاتهم وسماتهم، وذلك بإعفاء اللحي وتوفيرها وتخفيف الشوارب كما في الصحيحين: عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خالفوا المشركين وفروا اللحي وأحفوا الشوارب» وكان بن عمر إذا حج أو اعتمر قبض على لحيته فما فضل أخذه (86)، ولفظ مسلم «جزوا الشوارب وأرخوا اللحي خالفوا المجوس» (87). وكذلك نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التشبه باليهود والنصارى في هيئاتهم وسماتهم فقال: «غيروا هذا الشيب ولا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى» (88) وغيرها من النصوص التي تدل على تمسك المسلم بهويته ظاهراً وباطناً والتحذير من التشبه بغير المسلمين على اختلاف مشاربهم حتى في أسلوب الخطاب وطريقة التحدث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنُظِّرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٠٤) وفي الحديث: «من تشبه بقوم فهو منهم» (89) قال ابن كثير: "فيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقرر عليها." (90).

(85) تفسير القرآن العظيم (4 / 311)

(86) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب إعفاء اللحي، (5/ص2209) رقم الحديث 5553.

(87) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة (1/222) رقم الحديث 260.

(88) أخرجه أحمد، مسند أبي هريرة، (2/499)، رقم الحديث 10477، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد

حسن، وهو في سنن الترمذي، كتاب اللباس، باب ما جاء في الخضاب، بلفظ: "غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود"

(4/231)، برقم (١٧٥٢)، ثم قال الترمذي حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم

(7617).

(89) أخرجه أبو داود، في السنن، باب في لبس الشهرة (4/44)، رقم الحديث 4031، وهو عند أحمد بلفظ: «بعثت

بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على

من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (2/50) رقم الحديث 5114

(90) تفسير القرآن العظيم (1/149)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المُشَبَّه بهم كما في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَهُمْ﴾ (المائدة: ٥١) وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو أنه قال: "من بنى بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم (91) وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة" (92).

وأمر المؤمنات بلبس الحجاب والقرار في البيوت وعدم التبرج وإظهار زينتهن كحال النساء في الجاهلية فقال سبحانه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب: 33). قال الشوكاني: "ويمكن أن يراد بالجاهلية الأخرى ما يقع في الإسلام من التشبه بأهل الجاهلية بقول أو فعل، فيكون المعنى: ولا تبرجن أيها المسلمات بعد إسلامكن تبرجاً مثل تبرج أهل الجاهلية التي كنتن عليها، وكان عليها من قبلكن أي لا تحدثن بأفعالكن وأقوالكن جاهلية تشابه الجاهلية التي كانت من قبل" (93).

وقال: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْبِرْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ ذَلِكُمْ أَذْيَبٌ أَنْ يَعْرفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: 59). وهكذا يجد المؤمن في كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- في كل شؤون دينه ودنياه ما يفيقه عن الالتفات إلى غيرهما، وصدق الفاروق رضي الله عنه إذ قال: "إننا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به، أذلنا الله" (94).

-
- (91) النيروز: وهو أول أيام السنة الشمسية، والمهرجان فالظاهر بحكم مقابلته بالنيروز أن يكون أول يوم الميزان، انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (3 / 485)
- (92) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة 1369هـ، (ط/2)، تحقيق: محمد حامد الفقي (83/1)
- (93) فتح القدير (4/278).
- (94) الأثر أخرجه الحاكم في المستدرک وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. (130/1)، تعليق الذهبي في التلخيص: على شرطهما، وصححه الألباني في السلسلة الصّحيحة (117/1).

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

في ختام هذا البحث يمكننا الخروج بجملته من النتائج أهمها:

- 1- أن قوة الهوية الإسلامية مستمدة من القرآن الكريم، وضعفها ناتج عن هجره والابتعاد عن هديه القويم.
- 2- أن العقيدة الإسلامية والأخلاق الفاضلة أبرز مقومات الهوية الإسلامية وحائط الصد الأول في الدفاع عنها.
- 3- أن العلم الشرعي يمثل الحصانة الفكرية الأساسية للمسلم، أمام الأفكار المنحرفة وتدايعيات الثورة المعرفية والمعلوماتية المعاصرة.
- 4- يعد الغزو الفكري أخطر التحديات الخارجية التي تواجه الهوية الإسلامية.
- 5- أن العولمة في حقيقتها تهدف الى السيطرة على العالم عبر تذيب هويات الأمم وإعادة تشكيلها وفق النموذج الغربي القائم على المادية والانسلاخ عن القيم.
- 6- أن تجهيل الأمة، والتشكيك في ثوابتها، وبث الفرقة بين مجتمعاتها تمثل أقوى أسلحة الهدم التي استخدمها الأعداء في محاربة الهوية الإسلامية.

التوصيات:

- 1- إقامة مؤتمر علمي تتبناه إحدى كليات الشريعة؛ لتقديم رؤية واضحة عن طرق ووسائل تعزيز الهوية الإسلامية من خلال مقررات الإعداد العام في الجامعات.
- 2- إعداد برنامج تثقيفي لبناء وتعزيز الهوية الإسلامية لدى الشباب، تشارك في تنفيذه وزارات التعليم، والإعلام، والشؤون الإسلامية.
- 3- إقامة برامج توعوية للأسرة من خلال قنوات التوجيه والإعلام المختلفة؛ لكي تتمكن من القيام بدورها في تعزيز الهوية الإسلامية.

قائمة المصادر:

القرآن الكريم

1. آثار العولمة على نظم الحماية الاجتماعية في الوطن العربي، د. عبدالله عويدات، جامعة عمان العربية، بحث مقدم إلى مؤتمر الحماية الاجتماعية والتنمية جامعة نايف بن عبد العزيز العربية للعلوم الأمنية .
2. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم - دمشق (ط/8)، 1420هـ - 2000م.
3. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان أبو حاتم البُسْتِيّ بترتيب علي بن بلبان الفارسيّ الأمير علاء الدين، مؤسسة الرسالة، 1408هـ - 1998م.
4. أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص، دار إحياء التراث العربي - بيروت - 1405، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.
5. الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حسن حَبَّكَة الميداني، دار القلم-دمشق، (ط/4).
6. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
7. أزمة الهوية الإسلامية، موقع المسلم، مقال للدكتور: خالد رُوشه، منشور في 18 ذي الحجة 1429هـ، على الرابط: <http://almoslim.net/node/103661>
8. أساليب الغزو الفكري، د. وليد أحمد الشجيري، منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد الثالث من العدد الثالث والثلاثين
9. الإسلام والتعدد الحضاري بين سبل الحوار وأخلاقيات التعايش، د. عبد الهادي الفضلي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى 2014م.

10. إشكالية الهوية والعولمة الثقافية أ/ بوزغاية باية، أ/ بن داود العربي جامعة قاصدي مرباح – ورقلة-الجزائر، منشور على الرابط: <https://revues.univ-ouargla.dz/index.php/numero-05-ssh/1194-2013-05-22-11-17-16>
11. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة 1369هـ، (ط/2).
12. الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة، عبد الوهاب بن احمد عبد الواسع، مكتبة العبيكان، (ط/1)، 1422هـ، 2001م.
13. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ومصطفى حجازي. دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع- الكويت، 1965م.
14. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط/1، 1420هـ/2000م
15. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت - 1405، (ط/1).
16. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط/1) 1422هـ - 2001م.
17. تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الفكر-بيروت، 1996م.
18. تفسير القرآن العظيم، الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية - صيدا، 2003م
19. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، (ت774هـ)، تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط/2)، 1420هـ - 1999م.
20. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت 1421هـ - 2000م، (ط/1)
21. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي: دار الفكر المعاصر - دمشق، 1418هـ (ط/2)

22. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، - القاهرة 1997-1998م (ط/1)
- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر - بيروت، دمشق - 1410، (ط/1)
23. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ-2005م، (ط/4)،
24. الثقافة الإسلامية (تعريفها - مصادرها - مجالاتها-تحدياتها) مصطفى مسلم، وفتحي الزغبى، إثراء للنشر والتوزيع-عمّان، 2007، (ط/1).
25. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ودار اليمامة - بيروت، 1407 - 1987، (ط/3).
26. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
27. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية 1423 هـ-2003 م.
28. حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتير، طبعة مكتبة الأسرة، 2000م.
29. دراسات في الثقافة الإسلامية، د. رجب سعيد شهوان، تم الاطلاع عليه في 2019/10/29م على الرابط: <https://www.alukah.net/culture/0/862/#ixzz63ipj0f2F>
30. دراسات وأبحاث في قضايا معاصرة، سارة بنت محمد بن صالح الحسني، دار خالد اللحاني للنشر والتوزيع - مكة المكرمة، الطبعة الأولى 2017م.
31. الزلزال وما قبله، فايز الشيخ السليك، مكتبة جزيرة الورد - القاهرة 2012م
32. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
33. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت 1404، (ط/3).
34. سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، 1414 - 1994،

35. الشوقيات، أحمد شوقي تقديم محمد حسنين هيكل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت،
36. الصهيونية والعولمة، د. سيد يعقوب، مجلة الفكر السياسي، العدد السادس عشر، 2002.
37. العولمة الثقافية في ضوء العقيدة الإسلامية - عرض ونقد، مبارك بن نزال العنزي، رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدراسات العليا-الجامعة الأردنية، 2007م.
38. العولمة السياسية ومخاطرها على الوطن العربي، محمد أحمد السامرائي، مجلة الفكر السياسي، العدد (14)
39. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت - 1995م، (ط/2)
40. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني دار المعرفة - بيروت، (ط/3)، 1417هـ.
41. القيم الإسلامية والتربية، "دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها وتمييزها"، علي خليل مصطفى أبو العينين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - عمان 2000م.
42. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، (ط/1)
43. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان، (ط/1)، 1413هـ-1993م
- المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، 2000م.
44. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، كتاب العلم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط/1)، 1411هـ -1990م.
45. مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة - القاهرة.
46. معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة (ط/4)، 1417هـ.

47. المنهج التربوي الإسلامي في تشكيل الهوية الإسلامية، سناء مأمون التميمي، -رسالة ماجستير جامعة اليرموك - الأردن، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية 2006م.
48. موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، مجموعة من الباحثين بإشراف د. صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، 1418هـ-1998م(ط/1).
49. الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، خليل نوري مسيهر العاني، ديوان الوقف السني، بغداد، 2009 - 1430
50. جهود الدونمة، د. أحمد نوري النعيمي، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2011